

المعركة بالتمنيات الطيبة بالنصر المؤزر الوشيك . لم يفعل الشيخ زايد شيئاً من هذا القبيل لإيمانه بأن القدوة العملية هي خير متحدث بلسانه والمحرك الحقيقي للمواقف والأحداث التي يمكن أن تتوالى بعد ذلك . قراره التاريخي والرائد بقطع البترول عن الولايات المتحدة الأمريكية في حرب أكتوبر بمثابة المبادرة العملية الأولى التي أدت بعد ذلك إلى الموقف الموحد الذي اتخذته دول النفط العربي تجاه الدول المؤيدة لإسرائيل والزعامات التاريخية في قراراتها المصيرية قد تبدو للعين العابرة وكأنها اتخذتها فجأة من وحي اللحظة دون تفكير متأن وتأمل مسبق ، الزعامات التاريخية في هذا تشبه إلى حد كبير جبل الجليد الطافي في مياه لا يرى الناس منه سوى قمته لكن سفوحه وجوانبه وقاعدته العريضة الراسخة تختفي تحت طيات الأمواج في حين أنها الأساس الذي ولذلك فإن صدور القرار التاريخي الذي قد يبدو مفاجئاً هو نتيجة لمقدمات كامنة في وعي الزعيم الذي وجد أن اللحظة المناسبة قد حانت لإصداره . يقول الشيخ زايد : «لقد كنا دائماً نطالب باستعادة حقنا في الأرض السليبية . ولم يجد العالم العربي من ينصره . وكانت الولايات المتحدة نقف دائماً ضد إرادة العرب . ومع إسرائيل التي تجحف حقنا . لقد خلقنا الله سبحانه وتعالى على هذه الأرض . كل إنسان فوق هذه الأرض بالاحترام وبالشعور الإنساني الذي يرفض الظلم لأننا نتأثر بكل ما يقع للبشر في كل أنحاء العالم من ألوان الظلم . ونتألم لآلام الشعوب المغلوبة على أمرها» بتحليل المتغيرات السياسية . الذي يجب أن لا يحيد عنه . التاريخية ، وهو وضوح أدى إلى اتساق نظريته ومعالجته لكل الأمور وطارئة . وبهذه العقلانية التي تضع كل الاحتمالات في اعتبارها يمكن معالجة كل الأمور بلا تشنج أو انفعال لا لزوم له . يقول الشيخ زايد في مؤتمره الصحفي في ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ متسائلاً : «كيف يمكن أن تستمر المعاملات والعلاقات بين دولة وأخرى من طرف واحد؟ ! إن أبوظبي ودولة الإمارات العربية المتحدة يسعدها أن تقيم علاقاتها مع الدول على أساس المصلحة المتبادلة . . نريد أن نفيد ونستفيد ولا نرغب في أن نتشاحن مع أي دولة صغيرة أو كبيرة ، ولكننا أجبرنا على رد الإساءة . ونحن الآن نرد الإساءة» وأحياناً قد يواجه الزعيم بموقف مفاجيء أو طارئ لا يمنحه فسحة من أبعاده ، لكن يظل وعيه السابق بمتغيرات العصر وثوابت الاستراتيجية التي رسمها لنفسه بمثابة الإطار الذي يمكن التحرك داخل حدوده التي تزاوج بين حد أدنى وحد أقصى ، بحيث يضمن السير على هدى تقاليده وقيمه الثابتة ، بأول . قائلًا : الكبيرة بآمالها سيئة؟ وبفسح الوضوح الفكري والانساق المنهجي أجابه الشيخ زايد : قرارنا سليماً أو غير سليم . يهاجمها . هل يمكن لهذه العائلة وهي تواجه الخطر أن تجلس لتخطط الموت في أعماق والموت بيد الله وليس بيد دولة صغيرة أو دولة كبيرة . إن أي قوة على هذه الأرض لا تستطيع أن تنزع روح الإنسان . إلى متى سنظل نخاف ونخشى؟ لم يخلصنا الخطر وحدنا ونحن فقط؟ ! لماذا لا يخاف . وتتمركز فيهما منذ أكثر من ٢٥ عاماً والولايات المتحدة تساندها وتدعمها بالسلاح الذي حساب . فإلى متى نخاف ونحسب ونخطط ونخشى الخطر؟ ! إننا إذا فسوف نترك كل شيء للعدو . ماذا أفعل إذا وجدت ابني وأخي يطعن ويقتل؟ ! إن الواجب الطبيعي المنطقي إن ضبط النفس حياة أو موت» . إن أخطر القرارات المصيرية التي قد يبدو فيها عامل المخاطرة قويا ومسيطرأ لا تخلو من حرص يصعب الخروج منها . التجارب والمحن ، ويختصر له التفصيلية الدقيقة . وعلى حسه وخبرته السياسية مادياً ثم يقدم على قراره المصيري وهو يدرك جيداً أن المصير في النهاية بيد الله ، وهو بهذا ينزع من قلبه ومن قلوب أبناء وطنه الخوف الذي يمكن أن يصيب حركتهم بالشلل ويحيط عامل المخاطر في قراره بضمانات تجعله محسوباً إلى حد كبير ، وتمكنه في الوقت نفسه من الاستعداد للتعامل مع المتغيرات الطارئة . بهذا المنطق المتناسق يضع الشيخ زايد يده على ما تؤكد علوم مصيري أن يتجاهلها أو يتجنبها . أولاً بأول . إذ أن كل التداعيات والنتائج التي ترتبت على قرار قطع البترول بصفة خاصة وعلى تطورات المعارك على الجبهة بصفة عامة أثبتت أن قراره التاريخي لم يكن بل كان نابعاً من وعي عميق وحس حضاري شامل صهر المتغيرات السياسية والثوابت الإنسانية المعنية . فإنها في الوقت نفسه تملك قدراً مماثلاً من النظرة الواقعية التي توضح أن تراجع قوة يهددها . ذلك أن العدو الخارجي واضح ومحدد ويمثل هدفاً يمكن مقاومته أما التحلل عندما يسري في همم وعزائم أبناء الوطن فإنه قد يشكل مرضاً خبيثاً قد يصعب وهذا المفهوم يتجلى في حديث الشيخ زايد لبعثة الإعلام المصرية التي زارت البلاد في 17 أكتوبر ١٩٧٥ ، العرب ، وأن الكثير من التقدم والاستقرار والسعادة قد تحقق بفضل الاتحاد ، تقاسم الهم من داخله ، وأعرب عن أمله في أن لا يكون لمثل هذا التقاسم وجود بين الصفوف ، الاتحاد . ٢١ أكتوبر ١٩٧٥ قال : علينا أن نعرف الطريق الصحيح وتجمع عليه لأنه طريق السعادة . المسيرة الواحدة . وأنا أقول ذلك لأنه لا يمكن أن تكون لنا أهداف متفرقة . . لا يمكن أن يكون لنا إلا هدف واحد هو صيانة وطننا وترتفع فوق المصالح الشخصية . علينا أن نتجنب المصالح الشخصية ، لأن المصلحة العامة هي التي تجمع الشمل . وبذلك يؤكد الشيخ زايد أن المصلحة العامة ليست سوى محصلة جمع المصالح الشخصية بأسلوب قومي موضوعي . أما الذين يلهثون وراء مصالحهم الشخصية فقط ، فإن قصر نظرهم يمنعهم من إدراك أن

مصالحهم هذه لا يمكن أن تتحقق إلا في إطار المصلحة العامة التي إذا انهارت فلا بد أن تعود بالوبال على المصالح الشخصية ذاتها .وازدهارها .والسلطة في نظر الزعيم التاريخي ليست مصلحة شخصية له لا بد أن يتشبث بها ، بل هي مجرد وسيلة أو أداة لتحقيق المصلحة العامة للوطن . ولذلك فهو يبدو زاهداً فيها باستمرار خاصة إذا وجد أن الظروف غير مواتية والأحوال معوقة لتطبيق استراتيجيته الحضارية ، أو إذا رأى جميع الأعمال التي قام بها قد أصبحت متكاملة وأنت ثمارها . أو إذا أراد أن يحتاط لما يجب أن يتحملة من أعباء وأن يحدد معالم الطريق الذي سيقود فيه الأمة في المسيرة القادمة . ففي حديث شامل في مؤتمر صحفي عقده الشيخ زايد أثناء زيارة خاصة له الجمهورية الصومال في ٧ أغسطس ١٩٧٦ ، أعطى تحليلاً كاملاً للموقف الذي أدى إلى إعلان قراره بعدم تجديد فترة رئاسته وأشار إلى الأحوال التي يمكن فقط عند توافرها أن يقبل الرئاسة لفترة ثانية . قال :

والسبيل إلى ذلك هو التعاون في كافة المجالات . والطريق الذي يبدو لي الآن أنه من الضروري أن يسعى الجميع لتحقيق هذا التعاون وتبادل الرأي بين الأشقاء والإخوان لما فيه خير وصالح المجتمع العربي والإسلامي كله . ولكن توجد بعض العقبات . مثل عدم التنسيق وعدم التآزر في مواجهة المشاكل والقضايا المشتركة . وهذا يؤدي إلى تعطيل المسيرة . . وينعكس هذا كله بالتالي على ما أمكن تحقيقه فعلاً من تعاون في المجالات المختلفة أي أن الشيخ زايد يدق جرس الإنذار بصراحته المعهودة حتى ينبه جميع الأطراف المعنية إلى أن احتمال دخول المسيرة الوطنية في طرق مسدودة أصبحت قائمة ، وأنه ليس على استعداد للسير فيها بعد كل الإنجازات التي قام بها ، وكل الآفاق التي فتحتها للحاق بموكب العصر . والسلطة والمسؤولية في نظره تكليف لا تشريف ، ولا يعقل أن يسهر بنفسه على عمل أراد الشعب إنجازة طوال السنوات الماضية ، ثم لا يجد بعد كل هذا سوى عدم التنسيق وعدم التآزر في مواجهة المشاكل والقضايا المشتركة مما يؤدي إلى تعطيل المسيرة وخلل العلاقات بين الدول الشقيقة . لأن كل ذلك لا بد أن يكون على حساب مستقبل الوطن . وهي قضية ملحة تتطلب الصراحة والمواجهة ووضع النقاط على الحروف حتى لا تضيع معالم الطريق تحت أقدام أبناء الوطن ، وحتى لا تنطمس القيمة الحضارية لإنجازات الزعيم نفسه . فمن حقه أن يحافظ عليها في الصورة اللاتئة بها . وإذا وجد أن عدم التنسيق وعدم التآزر وتعطيل المسيرة وخلل العلاقات من شأنه أن يصيب الإنجازات السابقة بنكسة أو ردة إلى الوراء ، فمن حقه أن يعلن شجبه ورفضه لكل هذا ، حتى ولو بلغ هذا الرفض حد التنحي أو عدم قبول تجديد مدة رئاسته فترة أخرى . والحياة لا تعترف بمبدأ «مهلك سر فهي إما تقهقر للخلف أو انطلاق للأمام ، والذين يظنون أنفسهم راسخين ثابتين في مواقعهم ، واهمون لأنهم لا يدركون أنهم يتقهقرون بالنسبة للآخرين المنطلقين إلى آفاق العصر . فإذا كان هذا هو الوضع بالنسبة لأنصار «مهلك سر فما بالك بوضع الذين يرفضون التنسيق والتآزر ؟ ! يقول الشيخ زايد في مؤتمره الصحفي في ٧ أغسطس ١٩٧٦ : «لقد انتهت المدة التي توليت فيها رئاسة الدولة وهي خمس سنوات ، ولا يجوز أن آخذ أكثر مما قطعته على نفسي وتحملته أمام وطني وأمتي . والشئ الثاني . أنني قبلت القيادة وتحملت أعباء الرئاسة في الوقت الذي كانت فيه الإمارات مبعثرة . . . في بلدنا وإماراتنا . كنا نعمل ليل نهار من أجل إسعاد شعبنا الذي عانى طويلاً . وكانت اتصالاتنا مع إخواننا العرب ، وفي من أجل بناء علاقات قوية وطيبة على نفس المستوى . وكل هذه الإنجازات واضحة ويلمسها الجميع . ويعلم الله كيف كنت أسهر بنفسي على كل عمل نريد إنجازة في دولة الإمارات . حتى اتصالاتنا الخارجية كنت أتابعها وأسهر عليها لإيماني بأنها لصالح دولتنا» هذا هو الواقع الحضاري الرائد الذي حققه الشيخ زايد لوطنه ومن حقه أن يحافظ عليه وأن يفخر به وأن يحميه من كل ما يمكن أن يمسّه من قريب أو بعيد ، لكنه على استعداد للنزول من على هذه يقول :إن الإنسان لا يجوز له أن يسبح في البحر بيد واحدة ، ما دام الله عز وجل قد خلق له يدين ورجلين ، والأمة جسم واحد ، لا شك في هذه الحقيقة أبداً . إذا اشتكى عضو فيه من ألم يشعر باقي الجسم بنفس الألم . ويشعر الجسم الكبير بأن هذا العضو الذي يشعر بالألم له نفع كبير يقوم بهلباقى الجسم . ظناً منه أن العقل الأوحده والمفكر الأوحده والمحرك الأوحده لمقدرات أمنه . أما الزعيم القومي فيدرك أن الدافع الذاتي من داخل المواطن لا بد أن ينطلق ليلتقي بفكر الزعيم ثم يتفاعل معه ، تأثيراً وتأثراً ، من أجل تحقيق الوحدة العضوية لبناء الوطن وانطلاقته الحضارية . فهو لا يستطيع مواصلة إنجازاته بدون تآزر المسؤولين معه ومساهمة الشعب في تطبيق استراتيجيته . وهذا الفرق بين الزعيم القومي والزعيم النرجسي هو أيضاً الفرق بين الزعيم الديمقراطي والزعيم الديكتاتوري الذي لا يستطيع أن يتصور كيان الأمة ووجودها بدونه . أما الزعيم الديمقراطي فيحب أن تتواصل المسيرة الديمقراطية من خلال الانتقال الشرعي والحضاري للسلطة من جيل إلى جيل دون انقلابات أو نكسات أو غير ذلك من أمراض النظم الشمولية التي يجثم الديكتاتور على أنفاسها ولا يتركها إلا مرغماً ، إما بالموت بطريقة أو بأخرى ، أو بانقلاب يطيح به إلى السجن أو المنفى ، وهو الذي كان يظن أنه يمخر عباب الماء في حين أنه يسبح في البحر بيد واحدة ، كما كان يظن أنه يقود الزحف المقدس نحو آفاق الحضارة في حين أن يسير على

قدم واحدة ، إذا ما اقتبسنا استعارة الشيخ زايد الذي يرفض هذا المنهج تماماً لأنه يرى أن الزعيم والشعب وجهان لعملة واحدة هيا المتحضرة . فلا يمكن للزعيم أن يقود أمة بدون الدافع الذاتي النابع من داخل المواطن دون ادعاء أو افتعال ، كما أن الشعب لا يمكن أن يتلمس سواء السبيل بدون القيادة المستنيرة للزعيم . ومن خلال التفاعل بين الزعيم والشعب تتواصل المسيرة الديمقراطية وتنتقل إلى الجيل التالي له وهكذا . أما الديكتاتور فيتصرف – سواء بوعي أو بلا وعي – تطبيقاً لمبدأ «أنا ومن بعدي الطوفان» . وفي هذا يقول الشيخ زايد : الأمة فالיום أرى من واجبي أنه لا ينبغي أن أحول بين إخواني وبين القيام بمهامهم ، لكي يأخذوا دورهم ويعرفوا المسؤوليات التي علينا وعليهم . وأن كل إنسان يجب أن يعرف عمله ومسؤولياته . وسأعطي مثلاً لذلك . . إن المزارع يعرف كيف يعمل في زراعته بالطريقة التي لا يعرفها صياد البحر .